جامعة إفريقيا العالمية
المركـز الإسلامـي الإفريقـي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية
(بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله)

٢٠ ـ ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ٢٠١١م
الخرطوم ـ السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية
(الكتاب الثالث)

الإخراج الفني والتصميم
الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون
الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف
الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد	رئيساً .
٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن	رئيساً مناوباً.
٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله	عضواً .
٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد	عضواً
٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس	عضواً .
٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين	عضواً .
٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله هارون	عضواً مقرراً .
٨) السماني علي أحمد	عضواً .

المحتويات

م	المـــــوضـــوع	رقم الصفحة
١.	**المحتويات**	أ
٢.	**مقدمة الكتاب**	ب
٣.	**تقديم الكتاب بروفسور حسن مكي محمد أحمد**	ج
٤.	**الأسس القرآنية للفكر التوحيدي لمدارس العقيدة وعلم الكلام (د.قاسم جاخاتي - السنغال)**	١ _ ٢٩
٥.	**الحوار مع غير المسلمين من منظور قرآني (أ.د. السيد محمد السيد عمر –مصر)**	٣١ - ١١٢
٦.	**خصائص الحوار وأساليبه في القرآن الكريم (د. عثمان علي حسن –السودان)**	١١٣- ١٤٩
٧.	**القرآن في الخارطة المعرفية لحركة الإصلاح في الأمة الإسلامية (د. حسان عبدالله حسان- مصر)**	١٥١ _ ١٩٦
٨.	**قضية الألفاظ غير العربية في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث (د. كمال محمد جاه الله الخضر- السودان)**	١٩٧ _ ٢٣١
٩.	**الترجمات العبرية لمعاني القرآن (أ:أحمد صلاح أحمد البهنسي –مصر)**	٢٣٣ _ ٢٦١

١٠.	**حركة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانية الى لغات غرب إفريقيا الكبرى(د. آدم بَمْبا –ساحل العاج)**	٢٦٣ – ٢٩٨

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحها لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.

ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.

تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ، الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان ، هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ، ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ، وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير . عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام . نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

(د)

هذا المؤتمر مجرد محاوله متواضعة لقراءة دور القرآن في بناء المجتمعات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة ، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة لله، والقرآن هو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان— وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول " تُقَّابة القرآن " نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياَ وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

وأنا ، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام ، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها ، وللسودان وأهله ودولته ، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً ، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره .

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية

جامعة إفريقيا العالمية International University of Africa IUA

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

خصائص الحوار وأساليبه في القرآن الكريم

المحور الأول: الرؤية التوحيدية في بناء العقل العلمي في القرآن

(الحوار القرآني مع غير المسلمين)

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

جامعة إفريقيا العالمية International University of Africa IUA

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

إعداد:

الدكتور عثمان علي حسن

أستاذ مشارك بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

ملخص البحث:

القرآن حبل الله المتين، والذكر الحكيم، لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم.

وقد حفل القرآن الكريم بالإعلاء من شأن النظر والتدبر، كل ذلك بغية معرفة الحقيقة والوصول إليها والتمسك بها، ثم إذاعتها في الناس وتكثير سواد أهلها، وفي المقابل نجد أن القرآن نعى على التقليد والمقلدين، والمستكبرين، وأهل الأهواء والظنون؛ إذ كل ذلك من موانع معرفة الحق والالتزام به.

فكان الحوار أحد الطرق القرآنية لبيان الحق وتأييده، ورفض الباطل وإضعافه، وله في ذلك مقاصد نبيلة؛ من تنبيه لغافل، أو إرشاد لمسترشد، أو إفحام لمعاند متلدد، مستهدفا نشر الخير، وحماية أهله، والتضييق على الباطل وهداية أهله أو كسر شوكتهم.

والحوار القرآني يستمد قوته من قوة القرآن، كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو يتمتع بخصائص لا يوجد مثلها في المدارس البشرية المشتهرة بالحوار، فيستمد من القرآن هدايته، وإعجازه، وبقاء حجته ودوامها... إلى غير ذلك من الخصائص.

وللقرآن أساليبه الخاصة في محاورة خصومه، حتى لا يبقى أمامهم إلا التسليم والإذعان، أو السكوت والانقطاع، فتارة يستخدم أقيسة أخاذة، أو يُظهر تناقض الخصم واضطرابه، أو يظهر تشهيه وتحكمه، أو يتحدى الخصم وأنّى له بتحدي القرآن إلى غير ذلك من الأساليب.

وجاءت هذه الورقة في ثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: خصائص الحوار القرآني مع غير المسلمين.

المبحث الثاني: أساليب الحوار القرآني مع غير المسلمين.

المبحث الثالث: تطبيقات الحوار القرآني مع غير المسلمين.

الخاتمة.

Abstract :

Holy rope is strong, and the Quran, not warped by the passions and full of scientists, does not create for the large response, it is said, by truth, by justice and the rule, and has called for guidance to the straight path.

The ceremony of the Holy Quran Balaala would consider and ponder, all in order to know the truth, access and adherence to, and then broadcast in people and increase the numbers of black people, in contrast, that the Koran are aware of the tradition and imitators, and the proud, the people of the passions and suspicions; as all of the contraindications to know right and obligation to him.

Was a dialogue, a way the Quranic statement of the right and his support, the rejection of falsehood and weakened, with the purposes of the noble; to alert the unaware, or guidance to Mstrushd, or Avham to Maand Mtldd, targeted dissemination of the good, and the protection of his family, and restrictions on falsehood and guidance of his family or break the thorn.

The Quranic dialogue derives its strength from the strength of the Qur'an, the Word of God which is not done wrong in the hands of his successor, he has no properties as in the schools Almsthrh human dialogue, Vistmd His guidance of the Qur'an, and Aajazh, and the survival of his argument and durability ... To other characteristics.

The Koran methods for the dialogue of his opponents, so as not to remain in front of them but the delivery and acquiescence, or silence and drop, Sometimes used Oqaysh striking, or shows

contrary to opponent and disturbance, or appears Chhia and governed by, or challenging opponent that I have to challenge the Qur'an to other methods.

This paper came in three sections and a conclusion, as follows:

Section One: Characteristics of Quranic dialogue with Non-Muslims.

Section II: methods of Quranic dialogue with Non-Muslims.

Section Three: Applications of Koranic dialogue with Non-Muslims.

Conclusion.

مقدمة:

النسبة إلى الله تعالى على نوعين: نسبة صفات، ونسبة أعيان، الأولى مثل: رحمة الله وعلم الله، والثاني مثل: رسول الله وبيت الله وناقة الله، وكلا النوعين له الشرف والمزية بنسبته إلى الباري جل وعلا، لكن الأول أعظم شرفا ومزية، إذ هو من باب نسبة الصفة إلى موصوفها، ومن ذلك القرآن الذي هو كلام الله وكفاه بذلك شرفا ورفعة، وعليه فكل علم من علوم هذا القرآن له من الشرف والمكانة مثلما للقرآن، ومن ذلك الحوار القرآني..

الحوار مقابلة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل؛ لإظهار الحق، وهناك حوار آخر جرى به مصطلح المعاصرين يعنون به التعايش السلمي على أساس القواسم

المشتركة بين الشرائح المجتمعية المختلفة، من غير تهارش ولا تناحر، والنوعان في القرآن الكريم لهما وجود ونماذج، وإن كان حوار التعايش لا يلغي المبادئ، بل لا يلغي حوار الاحتجاج والاستدلال الذي هو موضوع الورقة..

فالحوار ضرب من ضروب بيان الحق وتأييده، وقمع الباطل وتزهيقه، فلا أقوى من سلطان الحجة، ولا أسطع من نور الدليل والبرهان، وهذا من أعظم ما يمتاز به دين الله الحق؛ إذ هو حجة وبينة، ودليل وآية، وبرهان ونور، وهدى وشفاء لما في الصدور.

والحجة الصحيحة لا تُغلب أبدا، فهي أدعى إلى الحق، وأنصر للدين من السلاح الشاكي، والأعداد الجمة وقد تهزم الجيوش الكثيرة لأن السيف مرة لنا ومرة علينا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبدا، ودامغ لقول مخالفينا، ومزهق له أبدا، ورب قوة باليد قد دمغت بالباطل حقا كثيرا فأزهقته... وقد قُتل أنبياء كثير وما غُلبت حجتهم قط"[i].

وقال الخليفة المأمون صاحب السيف والسلطان: "غلبة الحجة أحب إلي من غلبة القدرة، لأن غلبة القدرة تزول بزوالها، وغلبة الحجة لا يزيلها شيء".[ii]

وقد استخدم القرآن الكريم الحوار والجدال كثيرا، وعلى أساليب شتى، وفي حالات متنوعة: من تنبيه لغافل، أو إرشاد لمسترشد، أو إفحام لمعاند متلدد.

فالقرآن الكريم واجه الخصوم والمخالفين له وتصدى لهم، وناظرهم فيما يعتقدونه، وقطعهم بالحجة البالغة، والسلطان القاهر، فما استطاعوا له ردا، ولا عنه حولا، حتى خرس منهم اللسان، وبلُد الجنان، وأُطفئ البيان، وذهُل العقل، وظهر العجز، حتى قال قائلهم: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه.

وللحوار مع غير المسلمين خصائص وأساليب يمكن استنباطها من القرآن الكريم، حتى ننتفع بها في حوارنا المعاصر مع غير المسلمين للإسلام والمناوئين له، وجاءت هذه الورقة في ثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: خصائص الحوار القرآني مع غير المسلمين.

المبحث الثاني: أساليب الحوار القرآني مع غير المسلمين.

المبحث الثالث: تطبيقات الحوار القرآني مع غير المسلمين.

الخاتمة.

المبحث الأول: خصائص الحوار القرآني مع غير المسلمين:

للحوار القرآني خصائص تجعل منه نسقا متميزا عن غيره من الحوارات المنتسبة إلى أصناف المدارس الفلسفية والفكرية التي اشتهرت بالحوار والجدال، وأذكر هنا أبرز هذه الخصائص:

أولا: القرآن كتاب هداية:

القرآن الكريم كتاب هداية، هداية للناس كافة، وعلى مختلف مستوياتهم العقلية والعاطفية، فما فيه من الحوار والاستدلال المقصود منه ــ في الدرجة الأولى ــ هداية الناس وإرشادهم، أو حماية المؤمنين من عدوان المعتدين بدفع شبهاتهم وتفنيدها، وعلى ذلك فهو يختلف عن الطرق البشرية في الحوار التي يقصد منها مجرد الغلبة والفلج، وإظهار الفرح بالانتصار، وإغاظة الخصم بذلك، فالمحاور من الناس قد تكون له غايات فاسدة من حبِّ العلوّ في الأرض والإفساد فيها ونحو ذلك. لكنك تجد القرآن يُقر ــ في أدب رفيع وإنصاف بليغ ــ للخصم ما معه من الحق؛ كما في قوله تعالى تعقيبا على قول ملكة سبأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ ﴿٣٤﴾﴾ (النمل: **٣٤**)، وكانت كافرة يومئذ، لكن لما كان الغالب على سيرة الملوك الإفساد في الأرض، وتنكيس أوضاع الناس، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (النمل: **٣٤**)، وفي حوار القرآن أسلوب التنزل مع الخصم إلى درجة أنه يساوي بين المحق والمبطل أمام القضية المتناظر فيها: قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ **[**سبأ: **٢٤]** إلى غير ذلك مما يستنكف كثير من الناس أن يخضعوا له.

فحوار القرآن لا يتجه إلى مجرد الإفحام والإلزام، بل يتجه في الكثير الغالب إلى إرشاد الخلق المخاصمين، والأخذ بأيديهم إلى الحق، وتوجيه النظر إلى الحقائق وما في الكون من دلائل الحق والإيمان[iii].

ولهذا كان حوار القرآن بالتي هي أحسن، وأمر الله المؤمنين أن يجادلوا بالتي هي أحسن، أحسن لا حسن، وإذا جاء في جدال القرآن الشدة والتعنيف على الخصم، فهذا لا يرجع إلى أسلوب الدعوة القرآنية، وإنما يرجع إلى أمور ذاتية تتعلق بالخصم، بسبب علوه وعناده، ولعلَّ ذلك يفهم من الاستثناء الوارد في المجادلة مع أهل الكتاب ــ ويغلب على اليهود منهم العناد ــ قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ٤٦﴾ **[العنكبوت: ٤٦]**.

فالأصل في حوار القرآن أنه هداية للضال، وتنبيه للغافل، وتعليم للجاهل، وإرشاد للمسترشد، ثم قطع للمعاند المتلدد؛ لدفع صياله وحسم شره المتعدي إلى الغير، وهذا ما ينبغي أن نستفيد منه في دعوتنا للآخرين.

ثانيا: حوار القرآن معجز إعجاز القرآن:

ثبت أن القرآن هو المعجزة الكبرى لنبينا عليه الصلاة والسلام، وكل ما في القرآن معجز؛ إيجازه وإطنابه، وألفاظه، وأساليبه، ونظمه، وكذا استدلاله وجدله، وكذا تشريعه وما فيه من العدل والرحمة، وكذا ما يتضمنه القرآن من علوم شتى سبق بها أهل العصر، حتى كان ذلك سببا في إسلام بعضهم.

والفرق بين القرآن وكلام أعلى أئمة البيان يجعل الموازنة غير مستقيمة، فالفرق بين القرآن وبين غيره، هو كالفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأنه فرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق.[iv]

إذا كان القرآن الكريم معجزا في بيانه وغيره من ضروب الإعجاز، فإن الحوار ضرب من ضروب البيان أيضا، ومن ثم فهو معجز إعجاز القرآن، فإن القرآن معجز في كل مواد الحوار والجدل من: بلاغة وفصاحة وحجة وأدلة وبراهين وغير ذلك، يقول أبو بكر الباقلاني رحمه الله: "إن المعاني التي تضمنها – أي القرآن – في أصل وضع الشريعة والأحكام، والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع".[v]

والمقصود من ذلك بيان أن ما يتضمنه الحوار القرآني من الحجج والبراهين لا يمكن مغالبتها فضلا عن كسرها، لأنها من كلام الله تعالى المعجز، يعلو ولا يعلى عليه؛ إذا سمعته الجن قالوا: ﴿ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﴾ [الجن: ١]، وإذا سمعه

غير المستكبرين من النصاري: ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ **[المائدة: ٨٣]**، أما أهل الاستكبار والجحود فيقولون: ﴿ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ **[فصلت: ٢٦]**.

ثالثا: بقاء حجة القرآن وشمولها:

إن بقاء حجة القرآن ودوامها يكمن في صدقها، وقوة حجيتها، وسعة شمولها، فحجته باقية ما بقيت السموات والأرض، وعامة لكل الناس على مختلف أزمانهم ومراتبهم في الفهم والإدارك، وهذا البقاء والشمول مستمدان من بقاء الرسالة وشمولها: قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ **[الأعراف: ١٥٨]**، وفي الحديث: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[vi].

فلا يتصور أن أحدا- أيا كان زمانه أو مكانه- يجرؤ على معارضة حجة القرآن بما يقطعها، أو يشكك في مصداقيتها، على ما يكون من حجج بعض الناس التي قد تكون قاطعة لبعضهم، وفي وقت من الأوقات، ثم لا تلبث أن يعرف بعض الناس بطلانها أو ضعفها، أما حجة القرآن فتبقى قاطعة لكل حجة لا يُغير من ذلك زمان ولا مكان ولا إنسان، فالناس لا يزالون- وفي عصر العلم- يدخلون في دين الله الحق أفواجا، على الرغم من قوة المعوِّقات المتمثلة في حرب التشويه والتشكيك

والإبادة التي تُشنُّ ضد الإسلام، وأكثر الداخلين في الإسلام من علية القوم؛ من أكاديميين وخبراء وقادة ومفكرين وفلاسفة ورجال دين ونحوهم، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ **[فصلت: ٥٣].**

رابعا: إفادة حجة القرآن اليقين لا الظن:

ومن خصائص الحوار القرآني أن الأدلة القرآنية لها من القطعية في الثبوت مثلما للقرآن الكريم من ذلك، إذ نصوصه قد وردت بطريق التواتر الذي يفيد العلم اليقيني الاضطراري؛ فلا شكَّ ولا ظنَّ في ثبوت أدلته، كما لا شك ولا ظن في ثبوت نصوصه، هذا من جهة الورود، وكذلك من جهة المعاني والدلالات، فأدلة الحوار القرآني قطعية؛ لأن المراد بها تقرير القواعد الاعتقادية، وإقامة البراهين على صحتها، والرد على الخصوم إذ هو من أعظم ما جاء القرآن لتقريره، فلا بد أن يكون في وضوح معانيه، وقوة دلالته، ودقة مقاصده ما يجعله هداية للضالين، وقطعا للمعاندين، وحجة على الخلق أجمعين، فلا تناقض بين أدلته وبراهينه كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ **[النساء: ٨٢]**، ولا ضعف في قوة حجة القرآن ووضوح محجته كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ **[فصلت: ٤١ – ٤٢]**

.

قال أبو عبد الله الرازي ــ مع خبرته في الفلسفة والكلام ــ في آخر عمره: " لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ۝١٠﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ۝١١﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠]، ومن جَّرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"[vii].

خامسا: التحاكم إلى العقل الصريح:

العقل هو أغلى ما يفاخر به المخاصم، والقرآن لا يخالف نتائج العقول؛ لأنها ــ دائما ــ إذا كانت صحيحة صريحة ــ لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، بل القرآن يحث على إعمال الفكر والنظر والتدبر، واستخدام العقل إلى الغاية الممكنة قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ۝٤٦﴾ [سبأ: ٤٦].

وهناك قوانين عقلية لا يمكن الاختلاف فيها، كوجوب الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، وإلحاق الشيء بنظيره، وإعطاء الفرع حكم الأصل، ونحو ذلك، وليس في القرآن ما يعارض هذا وأمثاله، بل في القرآن ذمّ الذين يجادلون في الله بغير حجة: لا من كتاب ناطق، ولا من عقل صادق.

واشتمال الحوار القرآني على القوانين العقلية الصريحة يجعله حجة على كل الناس، لا سيما الذين غلبت عليهم الدراسات العقلية والفلسفية، أو الذين لهم مذاهب دينية سابقة يتعصبون لها، ولا ينقلبون عنها إلا بقناعات جديدة، وهذا ما يضمنه الحوار القرآني لهؤلاء جميعا، إذا تخلوا عن التعصب والعناد.

فمرحبا بكل من يعوِّل على عقله؛ لا على هواه أو على عاداته التي ورثها عن الآباء والأجداد:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾ **[البقرة: ١٧٠]**.

وعليه، فليس صحيحا أن يُسمَّى بعضُ مخالفي الدين الحق بالعقلانيين، بل لو كانوا عقلانيين حقيقة ما خالفوا الدين الحق، وإنما هي أهواء متغلبة، أو ظنون كاذبة، أو عادات مستحكمة، أو هو العلو والاستكبار كما هي النفسية الفرعونية النمرودية، وإلا فلو تجردوا من ذلك كله وأذعنوا لصوت عقولهم لكانوا في الحق راغبين وبه منادين. ولهذا لا تجد في القرآن ولا في السنة نصا واحدا يذم العقل، وإنما الذم متجه إلى الهوى والظن والعناد والاستكبار: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣ ﴾ **[النجم: ٢٣]**.

سادسا: مخاطبة العقل والوجدان جميعا:

من خصائص القرآن الكريم أنه يخاطب العقل والوجدان جميعا، فيأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا، وعلى مستوى واحد، مما لا يوجد مثله عند أي إنسان عالما كان أو حكيما أو شاعرا، يستطيع أن يمسك الأمر من طرفيه، فيأتي بكلام واحد فيه قوة الحجة العقلية وجمال العبارة البيانية، ولو وُجدا عنده فلا يعملان إلا مناوبة، كلما قويت واحدة اضمحلت الثانية لحسابها، بل كاد أن ينمحي أثرها، وكلنا يحس من نفسه تناقص قوة الوجدان عند استيلاء قوة التفكير، والضد بالضد. وهذا واضح حينما تستمع إلى أصحاب الدراسات الفلسفية، أو إلى أصحاب الدراسات الأدبية والبيانية.

أما القرآن فالأمر فيه يختلف؛ وهاك مثالين من عدد كبير من الأمثلة:

الأول: قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ ﴾ **[الأنبياء:٢٢]** وتأمل وتدبر كيف اجتمع في هذه الكلمات المعدودة عمق المقدمات اليقينية، ووضوحها، ودقة التصويرالبياني الرائع لما يعقب التنازع من الفساد المدمِّر؛ مما لو ابتغى تقرير مثله فلاسفة العصور كلها لما استطاعوا إليه سبيلا، إلا بعبارة طويلة معقدة وجافة ، كما قال ابن تيمية في نقده للمنطق الأرسطي: "... ولكن فيه تطويل كثير متعب فهو مع أنه لا ينفع في العلم، فيه إتعاب الأذهان وتضييع الزمان وكثرة الهذيان"[viii].

الثاني: قوله تعالى من سورة يوسف: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ **[يوسف: ٢٣]** انظر كيف تخرج من خلالها البراهينُ الساطعةُ والعظات البالغة، وكيف قُوبلت دواعي الغواية الثلاث: الحسب، وتغليق الأبواب، وكونه أجيرا عند امرأة العزيز، بدواعي العفاف الثلاث: الاعتصام بالله، ورعاية الأمانة، وتوقي الظلم. مقابلة صورت من هذا المشهد الممتع حوارا عنيفا بين جند الرحمن وجند الشيطان، بين صوت العقل وحرارة الغريزة، ووضعته أمام أصحاب الفطر السوية والعقول المستقيمة على كفتي ميزان، لينتصر اختيار الصديق، ويخسر اختيار الشيطان.

المبحث الثاني: أساليب الحوار القرآني مع غير المسلمين:

لحوار القرآن الكريم أساليب شتى، وطرق متنوعة تناسب أوضاع مَنْ تصدى القرآن لمحاورتهم، يمكن الإفادة منها في حواراتنا المعاصرة مع غير المسلمين، ومن هذه الأساليب:

١) قياس التمثيل[ix]:

وهو أن يقيس المستدلُّ الأمر الذي يدعيه على أمر معلومٍ عند منْ يخاطبه، أو على أمر بدهي لا تنكره عقول بني آدم، ويبين الجهة الجامعة بينهما؛ بين الأمر المدَّعَى وبين الأمر المعلوم.

وأكثر أدلة القرآن الكريم على البعث والحياة بعد الموت تقوم على قياس التمثيل، ومنه قياس الغائب على الشاهد بالمقابلة بينهما، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: ٧٨ – ٨١] ففي الآيات: المقابلة بين ما لا يمكن إنكاره من المشاهدات والمعلومات وهي: النشأة الأولى، وخروج النار من الشجر الأخضر، وخلق السموات والأرض، وبين إنكار البعث. والخالق لها جميعها واحد، وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، فالقادر على ما ذكر من النشأة الأولى وخروج النار من الشجر الأخضر وخلق السموات والأرض مع عِظم خلقها، قادر على النشأة الثانية، بل هي أهون. ولهذا كانت القاعدة العقلية: عدم العلم بالشيء ليس علما بالعدم، فليس كل ما لا يقع تحت الحواس الخمس يُحكم بعدم وجوده، فالله تعالى يقول لمنكري البعث والجزاء يوم القيامة بعد أن كشف عنهم الغطاء وظهر الحق: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الطور: ١٤ – ١٥].

٢) قياس الخُلف:

وهو إثبات الأمر بإبطال نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، كما تقرره براءة العقول؛ كالمقابلة بين الحياة والموت، والوجود والعدم، ونحو ذلك: فدليل الخلف أن يُبطل النقيض الباطل ليثبت النقيض الحق؛

كالاستدلال على التوحيد بإبطال الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١] فإذا ثبت بالحس أن الكون في غاية إتقان الصنعة، وإحكام النظام دلَّ هذا على أن خالقه واحد لا شريك له، لا معاونة ولا منازعة، وهو ما يسمى بدليل التمانع في الخلق والإيجاد؛ أي إذا امتنع بالحس اختلال نظام الكون، وثبت بالحس دقة صنعه، امتنع أن يكون له أكثر من خالق؛ لأن تعدد الخالقين يعني المنازعة والمغالبة مما يؤدي إلى فساد النظام، وذهاب الإتقان، وهو أمر مشهود في التنازع بين السلاطين من أهل الدنيا.

ومن أمثلة قياس الخلف إثبات أن القرآن الكريم من عند الله بإبطال أن يكون من عند غيره، وذلك بانتفاء الاختلاف عنه؛ كما في قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] فإذا ثبت أنه لا اختلاف فيه ولا تضارب ولا تناقض، بطل أن يكون من عند غير الله تعالى، ولزم أن يكون من عنده سبحانه وعزَّ شأنه.[x] فإن الواحد منا يحزنه أن يكون في كلامه تناقض واضطراب، فكيف ينسب ذلك إلى الله واهب الكمال؟!.

٣) القول بالموجَب[xi]:

وهو رد كلام الخصم من فحوى كلامه ــ أي بموجب كلامه ــ وقيل هو قسمان:

أحدهما: أن تقع صفةٌ في كلام الخصم كناية عن شيء يريده، فتكون حجة عليه، وعلى خلاف ما يريده، مثاله قوله تعالى: ﴿ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ڪ ڪ ګ ګ ڪ ڪ ڰ ڰ ڱ ڱ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾ [المنافقون: ٨] فالأعز وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل عن فريق المؤمنين، فأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فردَّ الله ذلك عليهم، بأنْ أثبت صفة العزة لغير المنافقين، بل لله ولرسوله وللمؤمنين، فكأنه قيل لهم: صحيح ذلك، ليخرجن الأعز منها الأذل، لكنْ أنتم الأذل المخرَج، والله ورسوله والمؤمنون هم الأعزُّ المخرِج.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلَّقه، قال الإمام السيوطي رحمه الله[xii]: "ولم أرَ من أورد له مثالا من القرآن، وقد ظفرتُ بآية منه وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١]". فواضح أن المنافقين وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم ـــ استهزاء ـــ بأنه أذن، أي سمِّيع، فأثبت القرآن الوصف دون المعنى المقصود منه، فالنبي يستمع للخير لا للشر.

٤) المناقضة:

ومثاله قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١٨٣) ﴾ [آل عمران: ١٨٣] معناه: أن العلة التي توجب ــ عندكم ــ الإيمان بالرسل قد وُجدت {فلم قتلتموهم} فدلَّ على أن التعليل بما ذكرتم غير صحيح، وهذا النقض وارد على معنى كلامهم، فدلَّ على جواز إيراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان[xiii].

ومن ذلك ــ أيضا ــ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ (٤٨) ﴾ [القصص: ٤٨].

٥) مجاراة الخصم[xiv]:

وذلك بأن تسلَّم للخصم بعض مقدماته مع الإشارة إلى أنها لا تنتج ما يريده ويقصده، بل هي تؤدي إلى ما يريده المستدل عليه؛ مثاله: قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ (١٠) قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ (١١) ﴾ [إبراهيم: ١٠ – ١١] فقول الرسل: "إن نحن إلا بشر مثلكم" فيه اعترافهم بالخصوصية البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عن أنفسهم، وليس هذا مرادهم، بل هو

من باب مجاراة الخصم لبيان خطئه، وذلك بتسليم دليله، لكن مع منع الدلالة، وذلك ببيان أن البشرية لا تنافي الرسالة؛ فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمُنَّ الله علينا بالرسالة، وكون الرسل بشرا هو سنة الله في خلقه حيث يكون الرسول من جنس منْ أرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥ ﴾ **[الإسراء: ٩٤ – ٩٥].**

٦) التسليم[xv]:

وهو أن يُفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يُسلَّم وقوع ذلك تسليما جدليا، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه. مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ ﴾ [المؤمنون: ٩١] المعنى ليس مع الله من إله، ولو سُلم أن معه سبحانه إلها، لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله بما خلق، وعلوٌّ بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمرٌ ولا ينفذ حكمٌ ولا تنتظم أحواله، لكن الواقع بخلاف ذلك، فوجود إلهين فصاعدا محال، لما يلزم منه المحال.

وهذا النوع قريب من قياس الخلف المتقدم ذكره، إلا أنه ينفرد عنه بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال لا في الواقع.

٧-) إظهار تشهي الخصم وتحكمه:

وهو أن لا يكون للخصم حجة سوى مجرد التشهي والتحكُّم، فإن جاءه ما يوافق هواه قبله وإلا رده ودفعه. مثاله: قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [البقرة: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ ٨٥﴾ [البقرة: ٨٥] إذ الأخذ ببعض الكتاب موجب للأخذ بجميعه، فهو كله من عند الله، وما يكون من عند الله حق يجب الإيمان به جميعا، فلا يجوز التفريق بين أجزائه في الإيمان والإذعان على عادة الذي جعلوا القرآن عضين. قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "فهذا هو الذي تسميه النظار والفقهاء: التشهي والتحكم، فيقول أحدهم لصاحبه، لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان القول موافقا لما تهواه وتشتهيه ــ إما من تقليد من تعظمه أو موافقة ما تريده ــ قبلته وأجزته، فترد ما خالف هواك وتقبل ما وافق هواك، وهذا الاحتجاج ... مفحم للخصم، لا جواب له عليه البتة"[xvi].

٨ـ الانتقال[xvii]:

وهو أن ينتقل المستدل إلى دليل آخر لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الدليل الأول، أو فهمها لكنه قصد المعاندة والمغالطة، فيأتيه المستدلُّ بدليل آخر لا يملك أمامه إلا الإذعان أو الانقطاع. من أمثلة ذلك ما جاء في مناظرة إبراهيم الخليل للذي حاجه في ربه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي

رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ **[البقرة: ٢٥٨]** قال ابن الحنبلي: "فلا يخلو حال نمرود: إما أن يكون ما فهم حقيقة الإحياء والإماتة، أو فهم إلا أنه قصد المصادمة والمباهتة، وكلاهما يوجب العدول إلى دليل يفضح معارضته ويقطع حجاجه، ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال إلى دليل آخر أقرب إلى الفهم، وأفلح للحجة"[xviii].

٩ـ التحدي[xix]:

وذلك إظهار لعجز الخصم، ولبيان أن ما يدعيه مجرد مكابرة ولَدَد، لا يملك عليه حجة ولا برهانا، وظهر ذلك جليا في معارضة المشركين للقرآن الكريم، ونسبتهم إياه إلى قوله البشر، كما في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ڨ ڨ ڄ ڃ ڃ ﴾ **[المدثر: ٢٥]** فتحداهم الله تعالى ـ وهم أرباب البلاغة وملوك البيان ـ أن يأتوا بمثله، إن كان القرآن ـ كما يدعون ـ من صنع البشر، بل جاءالتنزل معهم في التحدي مبالغة في إظهار عجزهم، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، ثم بسورة واحدة من مثله، ثم تحدى الثقلين جميعا: الجن والإنس، متظاهرين أن يأتوا بمثل القرآن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ **[الإسراء: ٨٨]** فلما عجزوا عن الإتيان بمثله، أو بمثل بعضه ـ وهم أرباب البلاغة وملوك البيان ـ بطلت دعواهم أن القرآن من كلام البشر.

وقد يترقى الأمر إلى المباهلة، ولا سيما مع الذين يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، مثال ذلك دعوة بعض النصارى إلى المباهلة في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ (٦١) ﴾ [آل عمران: ٦١] فلم يفعلوا خوفا من الافتضاح والتعرض للعنة الماحقة، كما ورد في قصتهم في كتب السنن والسير.

ولما زعم أهل الكتاب ــ اليهود ــ ولاية الله لهم من دون الناس تحداهم الله بتمني الموت لتعجل ملاقاة منْ يحبونه: ﴿ ۀ ە ^ ۂ ۃ ھ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۉ ۉ ﴾ [الجمعة: ٦–٧] وقال تعالى ﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٩٥) ﴾ [البقرة: ٩٤–٩٥].

وكيف يتمنون الموت مع ما عُرف عنهم من حب الحياة والحرص عليها؟!

المبحث الثالث: تطبيقات حوار القرآن مع غير المسلمين:

الحوار في القرآن الكريم على ضربين: حوار تولى القرآن أمره مع غير المسلمين من شتى الأصناف من مشركين ومنافقين وأهل كتاب ومن في

حكمهم، وحوار ذكر فيه القرآن الكريم محاورات للحق مع الباطل، جاءت على ألسنة الرسل والمؤمنين من جهة وخصومهم من جهة أخرى. والمقصود في هذا المبحث ذكر نماذج تطبيقية للضرب الأول من الحوار باعتباره الألصق بموضوع الورقة، وفي موضوعات شتى تتركز حول: الألوهية والنبوة والبعث.

أولا: الألوهية:

غالب الذين طعنوا في الألوهية ممن ذكرهم القرآن هم المشركون والكفار سواء الذين كانوا في زمن الأنبياء أو في زمن محمد عليهم جميعا صلوات الله وسلامه، وهؤلاء المخالفون إنما ينحصر طعنهم في مقام الألوهية في اتخاذ الأنداد والأوثان، وقلَّ منْ ينكر مقام الألوهية بالكلية إلا ما جاء عن فرعون والنمرود، وإنما وقع ذلك منهما على سبيل العلوِّ والعناد؛ كما جاء على لسان قوم فرعون: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ (٤٧)﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (١٤)﴾ [النمل: ١٤]. أما المشركون فهم واقعون في التناقض لا محالة، التناقض مع فطرتهم ومع ما يقتضيه العقل المتجرد عن الهوى، والحس الذي لا يُنكر، وهو ما يركز القرآن على إثباته في حواره معهم: ولنأخذ لذلك أمثلة:

١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ (٣٥) أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ (٣٧) أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ

مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) ﴾ **[الطور: ٣٥ – ٤٣]**.

فهذه محاصرة ومضايقة لا يجد المخالف منها فكاكا، والآية الأولى تبطل كل دعوى تنكر وجود الإله الحق، فالمخلوق ــ وهو أمر حسي لا يمكن التنكر لوجوده ــ مفتقر في وجوده إلى خالق، والخالق لا يمكن أن يكون المخلوق نفسه، كما لا يمكن تصور المخلوق بدون خالق، وإلا كان ذلك مقتضيا لوجود فعل بلا فاعل، وأثر بلا مؤثر، وصنعة بلا صانع، وهو أمر منكر في بدايه العقول.

فهذا الآية من أقوى الآيات في بيان توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهية، ولهذا كان وقعها على المشركين كبيرا، كما روى البخاري في صحيحه[xx] عن جبير بن مطعم قال: "سمعت النبي صلى الله عليه يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) ﴾ كاد قلبي أن يطير". وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركا، فكان سماعه هذه الآية من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام[xxi].

ولما ظهر بطلان أن يكون الشيء قد أوجد نفسه، أو وُجد من غير مُوجِد، فظهور بطلان خلقهم السموات والأرض– مع عظمها– من باب أولى، وكذلك بطلان تصرفهم في ملكوت الله تعالى.

٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣ – ٧٤]، ففي المثل المضروب بيان عجز منْ يُدعى من دون الله، بأسلوب فيه التحقير من شأنه، فهو أعجز من أن يخلق ذبابا، مع ما طبع في النفوس من استحقار الذباب واستقذاره، والتحدي لجميع من عُبد أو اُعتقد في قدرته من دون الله أن يخلقوا ذبابا، ولو اجتمعوا لذلك، بل التحدي يترقى في عجزهم عن استرجاع ما يأخذه الذباب منهم، مما يبين ضعف الذباب وضعف ما يأخذه الذباب، ومن ثمَّ ضعف الإله المزعوم وضعف منْ يرجوه من الناس، فضعيفٌ منْ يدعو منْ هو أضعف منه، يا له من استحقار للنفس! وما أعظم التكريم للإنسان حينما يكون عبدا لله! .

وفي صحيح البخاري[xxii] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: "قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة" وفي رواية عند أحمد[xxiii]: " فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة".

٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ (١٩٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥) إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ (١٩٦) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨) ﴾ **[الأعراف: ١٩١ – ١٩٨]**، فبين سبحانه في هذه الآيات أن آلهة المشركين لا تخلق شيئا، بل هي مخلوقة مربوبة، وأنها لا تنصر عابديها، بل لا تنتصر لنفسها إن أصابها سوء، وأنها لا تسمع دعاء منْ يدعوها، ولا تراه، فضلا عن أن تستجيب له. والآيات على هذا النحو كثيرة في القرآن الكريم.

٤) إبطال دعوى نسبة الولد إلى الله تعالى، وقد اشترك في هذه الفرية اليهود والنصارى ومشركو العرب، فاليهود يقولون: عزير ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله، والمشركون يقولون: الملائكة بنات الله، ولهذا كانت سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن ردا على جميعهم.

أما النصارى فهم أشهر منْ نسب الولد إلى الله تعالى، ويستندون في دعواهم المنكرة إلى ولادة المسيح من غير أب، فردَّ الله فريتهم من عدة وجوه:

الأول: تمثيل عيسى بآدم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ﴾ **[آل عمران: ٥٩]** فإذا كانت البنوة لله تُدَّعى بمجرد عدم وجود الأب (الفيسيولوجي) فآدم من باب أولى؛ لأنه خلق من غير أب ولا أم، لكنهما كانا آيتين من آيات الله تعالى.

الثاني: إضافة عيسى إلى أمه، وهذا ما تردد في القرآن كثيرا، حيث هي الرحم التي حملته، وإلى كلمة الله التي بها يقول للشيء كن فيكون، وإلى الله الذي خلقه ليكون عيسى بأمر الله وكلمته من غير أب.

الثالث: المتأمل في القرآن الكريم يرى بوضوح بشرية عيسى عليه السلام، فهو جنين في بطن أمه التي عانت آلام المخاض، واتخذت من أهلها مكانا قصيا، وأنها تمنت في تلك اللحظات العصيبة – خاصة من الناحية النفسية – أن لو كانت نسيا منسيا، وأنها جاءت تحمله طفلا رضيعا، وأن أهلها تعجبوا من صنيعها ذلك؛ فهي الصالحة بنت الصالحين، وأن أول ما نطق به عيسى: إثبات عبوديته لله المتمثلة في الصلاة والزكاة، ولا يستنكف أن يكون عبدا لله، وأنه رسول كغيره من الرسل، وإثبات نسبته لأمه المتمثل في برِّها والإحسان إليها، ثم هو وأمه يأكلان الطعام، وأنه يموت ويبعث كغيره من بني آدم.

الرابع: براءة عيسى عليه السلام من ضلال النصارى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ

مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١١٨) قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ (١٢٠) ﴾ **[المائدة: ١١٦ – ١٢٠]**.

ورأيت الشيخ أحمد ديدات يرحمه الله يركز على هذه المعاني في حواراته مع قساوسة النصارى، بل يستخرجها من كتابهم المقدس، ويطالبهم أن يثبتوا منه ـــ على اختلاف ترجماته ورواياته ـــ دعوى عيسى الألوهية، وأنه أمر أن يُعبد من دون الله، فلا يجرؤ أحد منهم على جوابه.

ومشركو العرب أيضا ينسبون إلى الله الولد، وهو قولهم في الملائكة أنهم بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، وهذه النسبة تتضمن مغالطات كثيرة، ردَّ الله عليها في مواضع شتى من القرآن الكريم، إظهارا للحقائق التالية:

١) كذبهم في وصف الملائكة بالأنوثة، فهو محض افتراء ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ (١٩)﴾ **[الزخرف: ١٩]**. ومع الأسف نجد وصف الملائكة بالأنوثة عند بعض العامة من الناس وهم لا يشعرون، بل نجد بعض الرسومات التي تصورها بذلك.

٢) أن الملائكة عباد الله تعالى يدخلون تحت ربوبيته، ويدينون له بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) ﴾ [الزخرف: ١٥]، وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ (١٩) ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦) ﴾[النجم: ٢٦].

٣) أن المشركين يختارون لأنفسهم ما يشتهون، ثم يتحكمون في اختيار الله تعالى، فيجعلون له ما يتأففون عنه، قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) ﴾[النحل: ٥٧–٥٩]، وقال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (٢٢) ﴾ [النجم: ٢١ – ٢٢].

٤) أن فعلهم هذا يدور بين أمرين: أحدهما: التحكم في الاختيار، فيجعلون لأنفسهم ما يشتهون، ويجعلون لله تعالى أدنى القسمين. الثاني: أن الله تعالى اختار لنفسه أدنى القسمين وأصفاهم بالبنين، كما قال تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾ [الإسراء: ٤٠] وإن كان الأول ظاهر البطلان فالثاني أظهر منه؛ لأنه يقتضي أن الله فضَّل خلقه عليه، وليس في القبح شيء أعظم من هذا.

٥) أنهم جعلوا لله أدنى القسمين مع أنهم لا يرضونه لأنفسهم، بل إذا ابتلي أحدهم بالبنت كان بين أمرين: إما أن يئدها حية، وإما أن تبقى عنده مهانة ذليلة، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟!.

٦) أن هذه الدعاوى محض كذب وافتراء لا يملكون عليها دليلا ولا برهانا؛ لا حسيا ولا عقليا ولا نقليا، وإنما هو الهوى الغالب والظن الكاذب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ **[النجم: ٢٣]**.

ثانيا: النبوات:

المنكرون للنبوات تتركز اعتراضاتهم على بشرية الرسول، وعلى تخصيصه بالرسالة دون من الناس، وعلى عدم مجيء مَلَك معه، وعلى عدم إتيانه بآيات حسية تشهد بصحة رسالته، ثم الاعتراض على نسبة القرآن إلى الله تعالى، ولذلك نماذج منها:

١) الاعتراض على بشرية الرسول:

حكاه الله عن سائر الأمم المكذبين بالرسالات كما في قوله: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ

مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (١١) ﴾ [إبراهيم:١٠-١١] فمن لطف الله بالناس أن يكون الرسول من جنسهم وبلسانهم، وهذا مما امتن الله به على عباده: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران:١٦٤]، والرسول البشري يقدّر طاقاتهم ويعتذر لهم: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ (١٢٨) ﴾ [التوبة:١٢٨]، وبشرية الرسول لا تمنع إرساله بالوحي، بل تؤكد رحمة الله بعباده، وفي آيات سورة إبراهيم ملمح آخر: أن بشرية الرسول عاجزة عن الإتيان بالآيات من تلقاء نفسها، ورسالته تمنعه من الإفتئات على الله، وقد ورد هذا المعنى في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا (٩٠) أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا (٩١) أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا (٩٣) ﴾ [الإسراء:٩٠-٩٣].

فحكمة الله تقتضي أن يكون الرسول من جنس منْ أرسل إليهم: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا (٩٥) ﴾ [الإسراء: ٩٥].

ثم إنه لو نزل عليهم ملك فسيكون في هيئة بشر؛ لأنهم لا يطيقون رؤيته على صورته الملائكية، ولو كان على صورة بشر لطالبوا بالدليل على ملائكيته، فيعود الاعتراض جذعا!: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾ **[الأنعام: ٩]**، ولو آمنوا بالملك لربما يعترضون على التكليف معتذرين بأن طاقتهم دون طاقة الملك، فأصل المسألة العناد والاستكبار كما قال تعالى عنهم: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ **[الأنعام: ٣٣]**.

بل ذهب المشركون إلى أبعد من ذلك إذ نفوا أن يكون الله تعالى أنزل على بشر من شيء: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ **[الأنعام: ٩١-٩٢]**، فهذا سلب عام وقع فيه هؤلاء المعاندون إذ نفوا جنس الكتاب المنزل: ما أنزل الله على بشر من شيء، فانتُقض بإثبات قضية جزئية موجبة، وهي إنزال التوراة على موسى، وهم يعترفون بذلك. ومن آمن بالتوراة حقيقة آمن بالقرآن، فجميعها من عند الله، ويصدق بعضها بعضا.

٢) الاعتراض على تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة:

وذلك فيما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ ﴾ **[الزخرف:٣١]** أرادوا بالقريتين: مكة والطائف، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، وقال غير واحد: إنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي؛ الأول من مكة، والثاني من الطائف[xxiv]. وروي عن الوليد أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لو كانت النبوة حقا لكنتُ أولى بها منك؛ لأني أكبر منك سنا، وأكثر منك مالا. وروي أن أبا جهل قال: والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه[xxv]. كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ ﴾ **[الأنعام:١٢٤]**، فردَّ الله مقالتهم واعتراضهم بقوله: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ **[الزخرف: ٣٢]**، أي أن النبوة والرسالة ليس الأمر فيها إليهم، بل إلى الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فإنه تعالى يختار لها من هو أزكى الناس قلبا ونفسا، وأشرفهم بيتا، وأطهرهم أصلا، ثم بين سبحانه لهم أن الذي فاوت بينهم في الأرزاق والمعايش فاوت بينهم في الحظوظ[xxvi]. والنبوة من أعظم الحظوظ {وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ }.

٣) الاعتراض على نسبة القرآن إلى الله تعالى:

اضطربت عبارات المشركين في وصف القرآن الكريم تشكيكا منهم في إضافته إلى الله عز وجل، وتشكيكا منهم ــ أيضا ــ في كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من عند الله، فتارة يصفون القرآن بأنه إفك مفترى، وتارة يصفونه بأنه أساطير الأولين، وتارة يضيفونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره ــ زعما منهم ــ شاعرا، أو مجنونا أو ساحرا أوكاهنا، وغير ذلك من العبارات التي تدل على محاولاتهم اليائسة في تكذيب القرآن ومنْ أُنزل عليه. وهذا الاضطراب والاختلاف في العبارات والأوصاف، وعدم اتفاق كلمتهم على تهمة واحدة دليل افترائهم وجحودهم للحق الذي بان لهم، وعجزوا عن معارضته والإتيان بمثله، أو رده بطريق علمي لهم معتبر. ولهذا قال تعالى مبكتا لهم: ﴿ إِنَّكُمۡ لَفِى قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ (٨) يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ (٩) قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ (١٠) ﴾ [الذاريات:٨–١٠].

وكان الفيصل في هذه المسألة ــ لو كانوا صادقين في معارضتهم واتهاماتهم ــ أن يستجيبوا لدعوة القرآن في التحدي؛ بأن يأتوا بمثله، أو عشر منه، أو سورة واحدة لا غير. ولهذا قال الفخر الرازي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا (٤) ﴾ [الفرقان:٤] إن هذا القدر إنما يكفي جواباً عن الشبهة المذكورة، لأنه قد علم كل عاقل أنه عليه السلام تحداهم بالقرآن وهم النهاية في الفصاحة، وقد بلغوا في الحرص على إبطال أمره كل غاية، حتى أخرجهم ذلك إلى ما وصفوه به في هذه الآيات ، فلو أمكنهم أن يعارضوه لفعلوا، ولكان ذلك أقرب إلى أن يبلغوا مرادهم فيه مما أوردوه في هذه الآية وغيرها، ولو استعان محمد عليه السلام في ذلك بغيره لأمكنهم

أيضاً أن يستعينوا بغيرهم، لأن محمداً صلى الله عليه وسلّم كأولئك المنكرين في معرفة اللغة وفي المكنة من الاستعانة، فلما لم يفعلوا ذلك ــ والحالة هذه ــ عُلم أن القرآن قد بلغ النهاية في الفصاحة وانتهى إلى حد الإعجاز، ولما تقدمت هذه الدلالة مرات وكرات في القرآن وظهر بسببها سقوط هذا السؤال، ظهر أن إعادة هذا السؤال بعد تقدم هذه الأدلة الواضحة لا يكون إلا للتمادي في الجهل والعناد، فلذلك اكتفى الله في الجواب بقوله: {فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا}"[xxvii].

وقالوا أيضا: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ ﴾ [الفرقان:٥] وقد عُلم بالتواتر وبالضرورة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعاني من الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى مبعثه، وهم أعرف الناس بأحواله؛ مدخلا ومخرجا، وصدقا ونزاهة، وبرا وأمانة، وبُعدا عن الكذب والفجور، وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى لقبوه بالصادق الأمين، حتى إذا أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة، ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وحاروا فيما يقذفونه به، واضطربت في ذلك أقوالهم حتى قال الله عنهم: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٤٨ ﴾[الإسراء: ٤٨][xxviii]

وفي العصر الحديث من المستشرقين منْ يتهم القرآن بضعف الأسلوب وشدة الركاكة وكثرة الأخطاء اللغوية، والجواب عليهم جملة واحدة: لقد أذعن للقرآن؛ لفصاحته وبيانه وقوة أسلوبه ملوكُ البيان من معاصري القرآن، مع

شدة حرصهم على معارضته، واكتشاف خلله، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فليصمت من هو دونهم.

ثالثا: البعث:

البعث إعادة الحياة للأموات وخروجهم من قبورهم يوم القيامة للحساب والجزاء، والمشركون والكفار والماديون ينكرون ذلك كله اعتمادا على مجرد استبعاد وقوعه، كما حكى الله عنهم ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم؛ منها: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾ **[ق: ٣]**.

وقوله: ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ ۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧﴾ **[المؤمنون:٣٥–٣٧]**، وجعلوا ذلك من أساطير الأولين: ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣﴾ **[المؤمنون: ٨٣]**.

وقد رد الله عليهم في إنكارهم البعث بأنواع من الردود منها:[xxix]

أولاً: الاستدلال على إمكانية البعث بأمثلة واقعية، من ذلك ما فعله الله في دار الدنيا ببعض خلقه من الإماتة والإحياء، ذكر خمسة من ذلك في سورة البقرة وحدها هي:

1. موت بعض بني إسرائيل من أصحاب موسى عليه السلام عقوبة لهم ثم إحياؤهم مرة أخرى ليستوفوا آجالهم[xxx].
2. صاحب بقرة بني إسرائيل الذي قُتل فأحياه الله بضربه ببعض البقرة حتى جلس حيا كما كان، فأخبر بقاتله، ثم مات[xxxi].
3. أربعة آلاف الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فأدركهم الموت حيث أمِنوا الموت، ثم أحياهم الله بسبب دعوة نبي مرَّ عليهم[xxxii].
4. قصة الذي مرَّ على قرية خاوية على عروشها، فأماته الله ثم أحياه[xxxiii].
5. قصة الطير الذي أجرى الله موته وحياته على يد إبراهيم عليه السلام[xxxiv].

ثانياً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى، وهو الاستدلال بالشاهد على المتوقع الغائب، وله في القرآن الكريم أمثلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ

ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ⑦ ﴾ **[الحج:٥–٧]**، فهذا الاستدلال يتضمن: وجود الخالق، وأنه الحق المبين، وأنه على كل شيء قدير، ومن كمال قدرته أنه يحيي الموتى، وإثبات مجيئ الساعة التي ينال فيها كل عامل نتيجة عمله، وأنه سبحانه كما أخرج الخلق من التراب في النشأة الأولى، والنبات من الأرض كما هو مشاهد، كذلك يخرج الموتى من قبورهم أحياء.

ثالثاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق السموات والأرض إذ هي أكبر وأبلغ في القدرة من إعادة الحياة إلى ميت كان حيا ثم مات، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ㉝ ﴾ **[الأحقاف:٣٣]**. قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود أنه دلَّهم سبحانه بخلق السموات والأرض على الإعادة والبعث، وأكد هذا القياس بضرب من الأولى، وهو أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فالقادر على خلق ما هو أكبر وأعظم منكم أقدر على خلقكم، وليس أوّل الخلق بأهون عليه من إعادته، فليس مع المكذبين بالقيامة إلا مجرد تكذيب الله ورسله وتعجيز قدرته، ونسبة علمه إلى القصور، والقدح في حكمته..."[xxxv].

رابعاً: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله تقتضيان البعث والجزاء؛ إذ حكمته تعالى ومحبته للحق، وبغضه للباطل، والتمييز بين الخبيث

والطيب، والمسيئ والمحسن، كل ذلك يأبى إلا أن يكون هناك يوم آخر بعد نهاية الدنيا، ينال فيه كل إنسان جزاءه، وما يستحقه من الثواب والعقاب على ما قدَّم من خير أو شر.

فإننا نرى أُناسا يفارقون الدنيا وهم ظلمة لغيرهم، لم يُقتص منهم، وفي المقابل نرى آخرين يفارقونها مظلومين لم تُرد إليهم ظُلامتهم، ونرى أشرارا فيها منعمين، وأخيارا فيها معذبين، فإذا ذهب كل إنسان بما فعل ظالما كان أو مظلوما، محظوظا كان أو مهضوما، من غير انتصاف للمظلوم من الظالم، ومن غير تمييز للمحسن على المسيئ، كان ذلك قدحا في عدل الرب وحكمته، فكان لا بد من يوم يحضر فيه الجميع بين يدي الملك الديان سبحانه وتعالى، ليقتص للمظلوم من ظالمه، ولينال كل محسن ومسيئ جزاءه؛ قال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١ ﴾ [الجاثية:٢١]، قال ابن الحنبلي: " وقد قال بعض الحكماء: ثبت أن الله عز وجل حكيم، والحكيم لا ينقض ما بنى إلا لحكمة أتمَّ من حكمة النقض، ولا يجوز أن تكون أنقص ولا مماثلة على مالا يخفى".[xxxvi]

الخاتمة:

أسجل في خاتمة الورقة النتائج التالية:

١) عناية القرآن الفائقة بالاستدلال العقلي، واستخدام قواعده الفطرية الضرورية، والعقل من أكثر الأشياء توزعا بالتساوي بين الناس، مما يجعل القرآن حجة على العالمين، خاصة الذين لا يؤمنون بمرجعية القرآن.

٢) الحجة القرآنية دائمة دوام الوجود، لأنها تقوم على حقائق لا يغير فيها الزمان ولا المكان ولا الإنسان.

٣) الحوار القرآني مقصده الأساس الهداية، لا مجرد الغلبة والفلج، وإن كان ذلك من نتائجه الطبيعية.

٤) الحجة القرآنية تفيد اليقين والعلم الضروري، وإن كانت بعض أدلة الأحكام التكليفية ليست كذلك لاختلاف المقاصد.

٥) المخالفون لأحكام الإسلام ليسوا بعقلانيين، إذ لو كانوا كذلك لوافقوه، وإنما هو اتباع الظن والهوى، أو العلو والاستكبار.

٦) الحجة القرآنية تحمل إلى جانب عمق الاستدلال وقوة البرهان، جمال العبارة، وروعة الأداء، وحسن التصوير، مما يأخذ بالعقل والوجدان جميعا.

٧) غالب الاستدلال القرآني على الأمور الغيبية يكون بقياس التمثيل، ومن ذلك قياس الغائب على الشاهد، فأحد طرفي الحجة أمام عيني الخصم.
٨) استخدم القرآن قاعدة: هي النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، لتقرير الإيمان والتوحيد وإبطال الإلحاد والشرك، وهي قاعدة عقلية يقينية.
٩) استخدم القرآن أسلوب إلزام الخصم من فحوى كلامه، ليكون أبلغ في الاحتجاج عليه.
١٠) القرآن قد يجاري الخصم في التسليم ببعض مقدماته؛ ليبين له أنها لا تؤدي إلى مقصوده، بل إلى ضده.
١١) في بعض المواضع يُظهر القرآن الخصم فارغ اليد من أية حجة، إلا التحكم والتشهي على عادة المستكبرين.
١٢) قد يدخل القرآن في تحدٍ مع الخصم العنيد ــ ممن يؤمن بالنبوات في الجملة ــ يستعجل هلاكه وبواره، مع علم القرآن أنه لن يستجيب للتحدي، حرصا على الدنيا الفانية.

التوصيات:

١) العناية بالاحتجاج القرآني، وتوجيه الباحثين نحوه، على نحو ما صنع الدكتور زاهر عوَّاض الألمعي في رسالته للدكتوراه: مناهج الجدل في القرآن الكريم، وقد أخرج الألمعي للقراء كتاب استخراج الجدل لابن الحنبلي أثناء عمله في الدكتوراه، وقد تكون هناك كنوز أخرى تنتظر مستخرجيها.

٢) إنشاء مركز بحثي يُعنى بالدراسات القرآنية على غرار الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وحري بجامعة إفريقيا- في هذه المناسبة- أن تتبنى هذا المشروع، وليبدأ بإعداد معمل علمي متكامل يعنى بالمادة القرآنية ومتعلقاتها يكون قبلة للباحثين.

٣) العناية بإبراز التراث الإفريقي والسوداني على وجه الخصوص مما له علاقة بالدراسات القرآنية.

٤) تطوير برامج الخلاوى، وتأهيل شيوخها والمشرفين عليها، بما يعمق مهمتهم في هذا المجال.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه..

المراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر ١٤١٦هـ/١٩٩٦م لبنان.

٢- الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن حزم الظاهري، خدمة: أحمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة.

٣- استخراج الجدل من القرآن الكريم، ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي، تحقيق د. زاهر بن عواض الألمعي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م بيروت.

٤- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م مصر.

٥- أعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، خدمة: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.

٦- بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت.

٧- تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م القاهرة.

٨- التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي، دار الحديث العلمية، الطبعة الثانية، طهران.

٩- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دارالكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م القاهرة.

١٠-درء تعارض العقل والنقل، أبو العباس أحمد بن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م الرياض.

١١-الرد على المنطقيين، أبو العباس أحمد بن تيمية، إدارة ترجمان السنة، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م لاهور، باكستان.

١٢-صحيح البخاري بشرح فتح الباري، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، خدمة: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٠هـ.

١٣-الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، خدمة: الشيخ إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنة النبوية، مصر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م بيروت.

١٤-المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، خدمة: أحمد محمد شاكر، دار المعارف ١٣٧١هـ/١٩٥١م مصر.

١٥-معترك الأقران في إعجاز القرآن، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، تاريخ الإيداع ١٩٦٩م بيروت.

١٦-المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، دار غريب للطباعة، القاهرة.

١٧-مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

الهوامش المرجعية:

---

[i] الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/٢٤-٢٥.

[ii] الفقيه والمتفقه للبغدادي ٢/٥٧.

[iii] انظر: المعجزة الكبرى ــ أبو زهرة ص: ٣٨١.

[iv] انظر: المعجزة الكبرى ــ أبو زهرة ص: ٣٤٣.

[v] الإعجاز للباقلاني ص: ٤٢.

[vi] صحيح البخاري ٩/٣ (فتح الباري) كتاب فضائل القرآن ــ باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ح: ٤٩٨١.

[vii] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/١٦٠، والرد على المنطقيين ص: ٣٢١.

[viii] الرد على المنطقيين ص: ٢٤٨.

[ix] انظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٥٧ ، ومعترك الأقران ١/ ٤٦٠ -٤٦١.

[x] انظر: المعجزة الكبرى ص: ٣٧٧.

[xi] انظر: معترك الأقران ١/ ٤٦١- ٤٦٢، والإتقان في علوم القرآن ٢/٣٥٩، واستخراج الجدل ص:١١٥-١١٦.

[xii] الإتقان ٢/٣٥٩ــ٣٦٠.

[xiii] انظر: استخراج الجدل ص: ١١٤.

[xiv] انظر: معترك الأقران ١/٤٦٣ والاتقان ٢/٣٦١، ومناهج الجدل ــ الألمعي ص: ٧٧.

[xv] انظر: الإتقان ــ السيوطي ٢/ ٣٦٠ ، ومعترك الأقران ــ السيوطي ١/ ٤٦٢

[xvi] بدائع الفوائد ٤/١٤٤ (بتصرف يسير).

[xvii] الإتقان ــ السيوطي ٢/٣٦٠ ، ومعترك الأقران ــ السيوطي ١/ ٤٦٢ ــ ٤٦٣.

[xviii] استخراج الجدل ص: ٦٧-٦٨.

[xix] انظر: مناهج الجدل ص: ٨١-٨٣.

[xx] ٨/ ٦٠٣ (فتح الباري) كتاب التفسير ح: ٤٨٥٤.

[xxi] انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٥.

[xxii] ١٣/ ٥٢٨ (فتح الباري) كتاب التوحيد ح: ٧٥٥٩.

[xxiii] مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٩١.

[xxiv] انظر: تفسير ابن كثير ٤/١٢٩.

[xxv] انظر: تفسير القرطبي ٧/٧٩-٨٠.

[xxvi] انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٩.

[xxvii] التفسير الكبير ٢٤/٥٠.

[xxviii] انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٩٩.

[xxix] انظر: معترك الأقران ـــ السيوطي ١/٤٥٨ ـــ ٤٥٩، ومناهج الجدل ـــ الألمعي ص: ٣٠٥ وما بعدها.

[xxx] انظر: تفسير ابن كثير ١/٨٩-٩٠ والأيات ٥٥- ٥٦ من سورة البقرة.

[xxxi] انظر: المرجع السابق ١/١٠٨ والآيات ٧٢ -٧٣ من سورة البقرة.

[xxxii] انظر: المرجع السابق ١/٢٨٢ والآية ٢٤٣ من سورة البقرة.

[xxxiii] انظر: المرجع السابق ١/٢٩٧ والآية ٢٥٩ من سورة البقرة.

[xxxiv] انظر: المرجع السابق ١/٢٩٨ والآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

[xxxv] أعلام الموقعين ١/١٤٧.

[xxxvi] استخراج الجدل ص: ٩٨.